الفصل الأول

دروس القـــرآن

من قصة إبراهيم والكعبة

* الكعبة

بيت الله باختيار الله

* المساجد

بيوت الله باختيار الناس

obeikandl.com

obeikandl.com

الكعبة بيت الله باختيار الله
والمساجد بيوت الله باختيار الناس

هكذا يلخص الشيخ الشعراوى رؤيته للمسجد الحرام وبقية المساجد، فالكعبة هى بيت الله الذى اختاره الله وتولى حمايته.

وفى هذا الحوار يطوف بنا الداعية الكبير فى رحاب الكعبة وتاريخها، ويجيب عن كثير من الأسئلة التى اختلف حولها المفسرون.

فهل الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل؟ أم بناها الملائكة بأمر من الله؟

وإذا كان هذا البيت الحرام قد تكفَّلَ الله بحمايته كما رأينا فى قصة أصحاب الفيل، فلماذا تعرَّضَ للهجمات والضربات والهدم كما حدث أيام «الحجاج بن يوسف الثقفى»؟

وإذا كان الله قد بعث برسوله الكريم ﷺ ليرفع راية التوحيد، وقام بتحطيم الأصنام المنتشرة حول الكعبة وعددها بعدد أيام السنة، فماذا يعنى هذا التعظيم للحجر الأسود بين أمة

حطمت الصنم ونبذت عبادة الأوثان؟

وإذا كان الرسول قد أخبرنا بأنه خيار من خيار، حيث تنقَّلَ من أصلاب الطاهرين إلى أصلاب الطاهرات، فكيف يتفق أن يكون والد جده الأكبر إبراهيم، وهو «آزر» كافرًا، والقرآن يذكر ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ [الأنعام: ٧٤] وأسئلة أخرى عن الحلال والحرام والقضايا التي تعترضهما والأحكام القرآنية فيما يتعلق بهما والتى يجيب عنها الشيخ الشعراوى فى رحاب الكعبة المشرفة، من خلال هذه الرحلة الإيمانية المضيئة.

* * *

أول بيت

* ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦].

ـ البيت مقصود به الكعبة أول بيت وضعه الله للناس فى الأرض ليعبدوه؛ لقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، والكعبة بيت الله باختيار الله، وكل مساجد الأرض هى بيوت الله أيضًا، ولكن باختيار الناس. وقد جعل الحق الكعبة حرمًا آمنًا، من أرادها بسوء قصمه الله، وجعل ـ سبحانه ـ مكة كلها حرمًا آمنًا وسماها «بكة» فى قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾، وهى فى اللغة من «بَكَّ. يَبُكُّ. بكا» أى «دك. يدك. دكا» فهى تدك غُزاتها، وتقهر كل من يعتدى عليها من أعداء الإسلام. وقد تكفَّلَ الله بذلك كما تشير أحداث التاريخ.

فهذا أبرهة الحبشى الذى أراد أن يحوِّل الأنظار عن الكعبة التى يحج إليها العرب، فبنى كنيسته «القُليس» بأرض اليمن،

وحشد لهـا من وسائل الجاذبية ما كـان فى عصره، ومع ذلك لم يحج إليهـا أحد، بل وجدوها ملطخة بالطين والـقاذورات، وقد تبوَّلَ أحدهم فيـها، فأصرَّ أبرهة على أن يهدم الكعبـة انتقامًا من العـرب؛ ظنا منه أنه يقـدر على ذلك، ونسى قـدرة الله عليـه، ونسى أن الكعبـة ليست فى حـماية العرب، وإنما هى فى حـماية ربهم وربه ورب الكون كله.

لذلك عندما ذهب عبد المطلب سيد قريش إلى أبرهة يطالب برد إبله المغتصبة منه، تعـجَّبَ الملك الحبشى، وكان قد حسب أنه قد جاءه يترجاه؛ لكى لا يهـاجم الكعبة، ويكف أذاه عن أهلها، وقال له: لقد كنت أكـبرك فى نظرى. والآن سقطت من نظرى، أجـئت تطالب بالإبل وأنت سـيد قـريش، ولا تحدثنى عن أمـر الكعبة؟!

فرد عليه عبد المطلب الرد الذى حـفره التاريخ: «أما أنا فرب الإبل، وللبيت رب يحميه».

للبيت رب يحـميه؟ نعم؛ لأنه بيت الله باختـيار الله. وقد سجل القرآن قصص حمايته للكعبة فى قول الحق: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ**

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الفيل: ١ - ٥].

*** الله يخاطب رسوله «ألم ترَّ.. فهل رأى الرسول ما حدث؟**

ـ تأملوا دقة القرآن لتعرفوا أنه كلام رب. وانظروا إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ والكلام موجه إلى من؟ إلى محمد ﷺ. وهل رأى محمد جيش أبرهة وحجارة من جهنم تلقيها عليه الطير الأبابيل؟ كان الظاهر فى الأمر أن يقول: «ألم تسمع يا محمد» ولكن الحق ـ سبحانه ـ يريد أن يقول: إن إخبارى لك يا محمد عن شىء قد حدث لا تأخذه على أنك سمعته، بل خذه على أنك رأيته. فكأن ما يخبرنا الله هو صدق الصدق الذى لا يتطرق إليه أى شك كأننا رأيناه. والدليل على ذلك أن الله هو الذى جعلنا نعلم علمًا ماديا من أسرار الكون ما كنا لا نعلمه، فهل كانت الكهرباء مثلاً موجودة أو غير موجودة قبل أن نكتشفها؟ كانت موجودة حتى كشف الله لنا أن ندركها ونعلم بوجودها.

وكذلك إذا حدثنا الله عن شىء موجود لا تدركه عقولنا، علمنا أن وجوده يقين، وإذا حدثنا الله عن شىء قد حدث علمنا أنه يقين، كما حدثنا عن قصة أصحاب الفيل، فقال لرسوله:

إننى يا محمد أخبرك بقصتهم، فيكون تلقيك لخبرى لا كمن يسمع، ولكن كمن يرى ويشاهد ويعاين، وكذلك فى كل حدث من الأحداث التى أخبرك بها كقصة حماية الكعبة، فإذا ما عرفنا أن أول بيت وضعَ للناس قبل وجود الناس كان بمكة مباركًا وهدى للعالمين، فقد يسأل أحدكم: وكيف يتفق ذلك مع قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧] فنقول إن إبراهيم لم يبنِ الكعبة أولاً؛ لأنها موجودة من قبل إبراهيم وقبل آدم، ولكن ما الذى فعله إبراهيم؟

إن للبيت قواعد وضعَها الله، ثم انطمسَتْ هذه القواعد مع تقادم الأزمان، وأصبح المكان مليئًا بالفضلات والقاذورات ومخلفات الإنسان، فأرشد الله إبراهيم إلى مكان البيت وحدوده، فطهره إبراهيم؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: ٢٦]، وبعد أن طهره، رفع قواعده، وأقامه بمساعدة ابنه إسماعيل كما يقول الحق: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾. وكان يكفى إبراهيم أن يبنى البيت بارتفاع ما تطوله يداه، ويكون قد

أدى ما عليه من تكليف الله له. ولكن انظروا إلى عشق التكليف الإلهى. لقد احتال إبراهيم بعقله وابتكر فكرة؛ لتكون له قدرة فوق المقدور عليه، وأتى بحجر، ووقف عليه؛ ليرتفع بالبناء أكثر. ولو لم يكن ابنه إسماعيل فتى صغيرًا، لأتى بحجر، ووضعه فوق الحجر. ولكن لأن إسماعيل كان لا يزال صغيرًا وليس فى مقدرته أن يناول أباه الأحجار للبناء بأكثر من هذا؛ فقد ارتفع إبراهيم ببناء الكعبة إلى هذا القدر، وبأكثر مما طُلِبَ منه.. بما تطوله ذراعاه.

وهذه حيثية من الحيثيات التى جعلت إبراهيم إمامًا عند ربه هدى وقدوة للمؤمنين، فيقول الحق: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾ [البقرة: ١٢٤] فاستحق إبراهيم هذا التكريم الإلهى؛ لأنه عشق التكليف الإلهى كما رأيناه فى بنائه للكعبة، ودلالات ذلك من حب للعمل والإخلاص فيه بما يجب على كل مسلم أن يلتزم به، ويضع نصب عينيه قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾**﴾ [التوبة: ١٠٥] ويضع نصب عينيه قول رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عَمِلَ أَحَدُكم عملاً

أن يتقنه». تتـقن عملك، وتتقن صلاتك، وتتقـن عباداتك لله، وتتقن تنفيـذك لأوامره واجتنابك نواهيه؛ حبـا لله، ومراعاة لله، وإخلاصًا وتفانيًا كما فعل إبراهيم.

* * *

*** ما سبب التجويف الموجود بالحجر الأسود؟**

ـ إن إبراهيم هو الذى صنع ذلك التجويف بـالحجر الأسود؛ ليثـبت عليه قـدميـه من الانزلاق، وهو واقف عليه يرفع قـواعد الكعبة. إذن يبقى الحجر الأسود رمزًا لتفانى إبراهيم وإخلاصه فى تنفيذ تكليف ربه، ورمزاً لعشق التكليف الإلهى.

* * *

معنى زمزم

*** ما دلالة سعى الحجاج بين الصفا والمروه سبع مرات؟**

ـ سيبقى سعى الحجاج بين الصفا والمروة رمزًا لسعى هاجر أم إسماعيل بينهما؛ بحثًا عن الماء لوليدها. كما ستبقى مياه زمزم رمزًا وتصديقًا لقول أم إسماعيل: «إذن فإن الله لا يضيعنا»، عندما أتى بها خليل الله ومعها إسماعيل طفلاً صغيرًا إلى وادٍ غير ذى زرع ومن ثم فلا ماء؛ لأنه لا يوجد زرع ولا إنسان إلا حيث وجد الماء، فقد ترك إبراهيم هاجر وإسماعيل في ظروف نتيجتها الحتمية الهلاك. وهذا ما أدركته هاجر وتعجبت له، وأخبرت إبراهيم بمعناه وهو يمضى ولا يرد على تساؤلاتها؛ فقد نفذ أمر الله وكفى، لذلك حينما قالت هاجر لإبراهيم: أإلهك أمرك بهذا؟ قال لها: نعم. فاطمأنت نفسًا وهدأت بالاً وقالت: إذن لن يضيعنا الله أبدًا. ولما مر الوقت راحت تبحث عن الماء ساعية بين هذين الجبلين «الصفا والمروة»، لعلها تجد فى ناحية هنا أو ناحية هناك ماء، إن لم يكن من أجل نفسها فمن أجل ولدها، وبعد أن أدركها التعب بعد سعيها سبع مرات بين الصفا والمروة؛

عادت وقد أدركت أن لا فائدة ولا جدوى فى بحثها وسعيها، ثم فوجئت بأن الماء قد نبع عند قدمى إسماعيل غير مصدقة، ومن فرحتها راحت تحوط الماء بيديها وتقول: «زم .. زم».

والذى سُمِّىَ لذلك زمزم، أى «اتلم. اتلم» خوفًا على الماء أن يضيع ويذهب، فأوحى الله إليها بجبريل أن لا تخافى ودعى الماء؛ فإنه باقٍ تشربين منه أنت ووليدك ويشرب منه المسلمون إلى يوم القيامة.

إذن فقد صدقت مقولة هاجر .. إن الله لا يضيعها ووليدها. لقد سعت وبذلت جهدًا، فأخذت بالأسباب. ولو عثرت على الماء من سعيها فماذا يكون القول فى قضيتها «لن يضيعنا الله»؟ لقد أخذت بالأسباب سعيًا وجدا واجتهادًا، ولكن رب الأسباب يعطى بغير أسباب، ولكن ذلك لا يمنع أن نسعى ونعمل، ولكن نوكل أمرنا إلى الله؛ لأن أسباب البشر ظواهر والحق يُجْرِى مشيئته بغير هذه الأسباب، وإلا فماذا يعنى قول الحق لمريم وهى توشك أن تضع عيسى عليه السلام ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾ [مريم: ٢٥]، فهل مريم فى حال يسمح لها بهز النخلة؟ وحتى أقوى الرجال ليس فى مقدوره هز النخلة، ولكن أمر الله لمريم بهز النخلة مجرد صورة فقط لممارسة الأسباب. وهذا درس لنا.. أن نمارس

الأسباب ونحن متيقنون أن الأسباب لا تأتى لنا بالنتيجة. ولكن رب الأسباب هو الذى يأتى لنا بالنتيجة، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧] أنت فقط رميت فى الظاهر، ولكن الحقيقة أن الله هو الذى رمى وأوصل رميك إلى هدفه، وإلا فهل يعنى أن ضرب إسماعيل وهو طفل - وحتى لو كان رجلاً - للأرض بقدمه كافٍ لتفجير مياه زمزم؟ إنها فقط أسباب شكلية. ولكن الفعل للمسبب الأعلى وهو الحق سبحانه.

ولذلك عندما انتصر الإسلام، وأراد الله تطهير البيت الحرام من كل المشركين فلا يقربونه؛ خاف مسلمو مكة على أرزاقهم؛ لأن مجىء محمد إلى البيت الحرام وتحطيمه للأصنام التى كان يحج إليها المشركون فى الكعبة - مما كان يساعد على رواج تجارة قريش ويعينهم على المعيشة بقية شهور السنة - قد أزال كل هذا، ولأن الله وهو الذى خلق البشر ويعلم ما ينفع النفوس البشرية وما يديم نفعها، طمأنهم وضمن لهم الرزق والغنى، نسمع ذلك فى قول الحق سبحانه : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [التوبة: ٢٨].

وهل حدث أم لم يحدث؟ لقد حدث وأصبحت مكة يجيء إليها من ثمرات كل شيء، فهل إذا قلنا امنعوا الخمور تنفيذاً لأمر الحق هل تخشون ما تدَّعونه بأن الخمر ضرورية لوجود السياح وتنشيط السياحة التى هى مورد للثروة؟ هل أنتم تساعدون الله على أرزاقكم؟! إن تنفيذكم لأوامر الله لا يجعلكم تخشون فقراً أبداً، بل انتظروا رزقًا، فلعل الله يبدلكم بموارد السياحة موارد أخرى، كأن يفجر لكم بئر بترول، أو يفتح عليكم بمنجم فحم أو حديد، ويرزقكم من حيث لا تحتسبون إن اتقيتم الله وراعيتم حدوده واتبعتم منهجه؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، مثلما رزق هاجر ووليدها إسماعيل بماء زمزم، ومثلما رزق أهل البيت الحرام وأغناهم.

إن ما يحكيه لنا الحق فى قرآنه مما ذكرنا طرفًا منه عن الكعبة وقصة إبراهيم ليس القصد منه التسلية مما يُقصَد إليه من القصص البشرية إضاعة للوقت، ولكن قصص القرآن يقصد به أن يتعلم المسلمون دروسًا مما يوجههم الحق ـ سبحانه ـ إليها وما يذكرهم بها.

الأدب الذى يعلمه الله

*** ما المعانى التى يجب أن يستوعبها الحاج فى رحلته إلى الأراضى المقدسة؟**

ـ الحج رحلة واحدة فى الحياة الإيمانية، يكفى المسلم أن يقوم بها فى العمر مرة واحدة، ليترك نعمة المنعم ـ سبحانه ـ الذى يعيش معها فى كل مكان، ليأتى فى الحج إلى المنعم نفسه وقد تَساوَى مع غيره من عباد الله الذين جاءوا لتلبية نداء الحق ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران: ٩٧] فلا يعرف أحد غيره بمقادير وألقاب، فقد أصبح الخفير بجوار الوزير يشاهده وهو يبكى، فقد صار الكل سواء فى بيت الحق.

ثم يريد الحق أن يؤدبنا تأديبًا إيمانياً مع كل ما يخدمنا من حيوان ونبات وجماد، ويقف الإنسان منها موقف السيد المخدوم، حتى إذا جئت إلى الحج إلى بيت الله الحرام يعلمك الحق أن تتأدب مع هذه الأجناس التى فى خدمتك، فيأمرك الحق ألا تقطع شجرة وألا تصطاد حيوانًا، فلا تقرب أيهما؛ لأن الحق جعل

الحرم آمنًا بما فيه من نبات وحيوان، ويبقى الجماد وهو أحط الأجناس، يأمرك الحق أن تسلم عليه وتقبله. وإن لم تستطع، تشير إليه (وهو الحجر الأسود)، وإن لم تصل إليه، تظن أن حجك لن يصلح، فقطعة الحجر هذه هى التى تتحكم فى خطاك وتدور حولها. وقد جعل الله كل هذا التعظيم للحجر ليقضى على طغيان الإنسان أمام نفسه.

* * *

*** ما الفرق بين تعظيم الحجر الأسود وتعظيم الناس فى الجاهلية لأصنامهم؟**

- إن هناك فرقًا كبيرًا؛ فالحجر الذى كان يعبده الناس فى الجاهلية هو مراد نفوسهم، ولكن الحجر الذى يعظمه الناس فى الحج هو مراد الحق، وهكذا انتقلت المسألة من مراد نفسك إلى مراد الله، ولذلك فإن الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب قال وهو أمام الحجر الأسود: «أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله يُقبِّلك ما قبَّلْتُك»، فعظم عمر الحجر؛ لمراد الله فى هذا التعظيم.

ولكن الحق لايترك أوامره هكذا دون اختيار لمن أمرهم، هل يصبرون أم يعصون؟ فيقول الحق: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ**

اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾ [المائدة: ٩٤]، فيجعل الله صغار الوحوش والفراخ فى متناول الأيدى أو الرماح بأقل مجهود، وحتى تقع المعصية على الحجاج.. هل يفعلونها فيصطادون أم لا يفعلونها إذا كان إيمانهم قويا؟ وذلك لأن هناك فرقًا بين أن يلح الإنسان على المعصية وبين أن يصل إلي منزلة لا يلح فيها على معصية؛ لأن الله أمره بذلك.

والحق يريد أن يعطى زوار بيته مناعة. صحيح أنهم لا يلحون على المعصية، ولكن الحق يبتليهم بشىء بسيط.. لماذا؟ لكأن الحق يقول: حتى أعودكم ألا تتهافتوا على المعصية وألا تقعوا فيها رغم أنها سعت إليكم ﴿ **لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ** ﴾ [المائدة: ٩٤]، وهل الله فى حاجة لأن يعلم؟ إن الحق عالم بمن يخافه لأوامره قبل أن يخلق خلقه؟ ولكن هناك فرق بين هذا العلم الأزلى للحق والعلم الذي يكون حجة على الناس؛ لأن علم الله ليس على الناس؛ لأنهم قد يقولون: لو ابتلينا يا رب واختبرنا كنا سوف ننجح، فيبتليهم الحق لتكون نتيجة الابتلاء حجة وشهادة عليهم.

وهكذا يأتى الحج مناسبة للتربية الإيمانية من الحق لزوار بيته

الذى جعله الحق حرمًا آمنًا، وجعله قيامًا للناس.

* ولماذا الكعبة بالذات شرَّفها الحق بالحج كفريضة؟

ـ ذلك لأنها ـ كما ذكرنا ـ بيت ربهم باختيار ربهم، وكل المساجد قبلة لبيوت الله باختيار خلق الله، وإذا كان الحق قد جعله حرمًا آمنًا، فهذا دليل على أن له حرمات كثيرة؛ لأن البيت نفسه حرام، وجعله الله قيامًا للناس، وقيامًا أى يحفظ للناس قوام حياتهم ووجودهم، وقوام الحياة يكون بالطعام والشراب لحفظ الحياة، ويكون بالتناسل لحفظ النوع، وبدفع الأذى لحفظ الأمن، والسيادة كحياة راقية، وكل هذه مقومات الحياة المادية.

ولكن الحياة حياتان، حياة بمعنى الروح تتصل بالمادة فتتكلم وتتحرك وتحس. وهذه يشترك فيها المؤمن والكافر، وحياة أخرى بدل أن تنتهى فى سنوات تستمر وتتصل، وهذه هى الحياة التى يريدها الحق للمؤمن. وقد جمع البيت الحرام نوعى الحياة؛ لأنه أول بيت وضع للناس فى الأرض ببكة، وما دام قد وضع لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران: ٩٦] فإن الله هو الذى يكون قد وضعه وليس خليل الله إبراهيم، كما يظن بعض الناس، وإلا فهؤلاء الذين يقولون إن إبراهيم هو الذى وضع البيت، نسألهم: ولماذا لم يكن للناس قبل إبراهيم

بيت؟ وهل يكون البيت لناس دون ناس أو عصر دون عصر؟ إذن فلابد أن يكون للناس بيت منذ آدم.

*** من أين إذن جاء الظن بأن إبراهيم هو الذى بنى البيت؟**

ـ تأمل ما يقوله الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦]، إن الله هو الذى وضعه وليس خليل الله إبراهيم كما يظن البعض. وإلا لماذا يكون للناس فى عهد إبراهيم بيت بينما الناس من قبله لا بيت لهم؟

وقد جاء الظن بأن إبراهيم هو الذى بنى الكعبة من الفهم القاصر لقول الحق: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. وإسماعيل لابد أن يكون قد كبر ليعاون والده إبراهيم الذى جاء به طفلاً ومعه أمه هاجر وقد تركهما إبراهيم قائلاً فيما رواه الحق فى قرآنه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فقد كان هناك إذن البيت الحرام، والبيت مكان، وقد حدد الحق المكان بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦]، فالبعد الأول ـ وهو المكان ـ موجود، والبعد الثانى ـ وهو

قواعد البيت ـ موجود، فلم يبقَ إلا أن يرفع إبراهيم هذه القواعد حوائط وجدران.

*** ما معنى كلمة «الكعبة»؟**

ـ الكعبة اسم من الأسماء، وكل الأسماء مأخوذة من المحسات، والكعبة هى الشيء الناتئ أو البارز عن المتساوى، مثل الكعبين فى القدمين، والكعبة نتوء وهو الارتفاع، والارتفاع هو علامة البيت، وليس هو البيت؛ لأن البيت مساحة، والارتفاع لا لزوم له إلا للدلالة على البيت، فننقله من مساحة إلى حجم؛ لأن الذى يدل على المساحة هو المبانى دلالة على البيت.

*** وما معنى كلمة بيت؟**

ـ هو ما أعد للبيتوتة؛ لأن الإنسان يضرب فى الأرض طيلة نهاره بحثًا عن الرزق، ثم يعود آخر النهار ليستريح فى البيت. وقد جعل الحق البيت الحرام راحة لعباده من كل ما يخطر ببالهم من عناء وذنوب دنياهم، فهم يتخلصون من كل ما يذكرهم بالدنيا ونعيمها الفانى ليكونوا فى حضرة المنعم يتصلون به رجاء أن يدوم اتصالهم به بعد ذلك اتصالاً دائمًا يوصلهم إلى النعمة الدائمة فى الآخرة، ليس بأسبابهم كما كان فى الدنيا ،ولكن بأسباب ربهم فى الآخرة، كأن الحق قد جعل بيته راحة لعباده

وكعبة يقصدونها للحج ويتجهون إليها فى كل صلاة حينما وضعها الله بمكة.

*** اختيار الكعبة فى بكة أو مكة فى وادٍ غير ذى زرع، فهل كان البيت الحرام على هذه الحال منذ أن وجد بشر فى الأرض منذ عهد آدم؟**

ـ لقد كانت حول البيت حياة وبشر، ولكن كعهد الناس إذا طال عليهم الوقت نسوا وبدءوا يتركون عبادة الله، وتهدَّمَ البيت مع الزمن فلم يعتنوا برفع قواعده، فتركوها حتى طُمرت، وجعلوا مكان البيت قاذورات وأوساخًا، ويبدو أنه قد حدثت أشياء دفعت بسكان هذه المنطقة إلى الهجرة، حتى خلا المكان ولم تصبح به أى صور للحياة.

حتى شاء الحق إحياء العبادة والحج إلى بيته الحرام، فأمر نبيه ورسوله إبراهيم أن يذهب إلى مكان البيت الحرام، ودله الحق عليه وأمره أن يطهره ويرفع قواعده مستعينًا بابنه إسماعيل، فيقول الحق: ﴿**وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ [البقرة: ١٢٥]، ثم دعا إبراهيم ربه ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ [البقرة: ١٢٦] فقد أراد إبراهيم ألا

يكون الرزق فى البلد الحرام إلا للمؤمنين.

ولكن الحق قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]، فعلَّمَ الحق إبراهيم أن الرزق للمؤمن والكافر؛ لأن الله خلق الاثنين واستدعى الجميع إلى الوجود فلم يستدعوا أنفسهم، لذلك فحق عليه أن يرزقهم: الكافرين والمؤمنين، ولكن الكافرين سينالهم جزاء كفرهم فى الآخرة عذابًا، هكذا علم الحق خليله إبراهيم، كما علم زوجته هاجر درسًا من قبل فى وجوب الثقة بالحق حينما تركها إبراهيم هى ووليدها إسماعيل فى هذا الوادى غير ذى الزرع عند بيت الله المحرم، فلم تهتزَّ عندما علمت أن هذا هو أمر الله وقالت: «إذن لا يضيعنا الله». ولم يضيعها الله، فوجدت المياه تتفجر عند قدمى ابنها الرضيع.

* * *

*** ما الذى نستفيده من هذه القصة؟**

أن الله لم يعطِ هاجر المياه من سعيها وإلا لم تثبت قولتها: «لن يضيعنا الله»، إنما هى وجدت المياه عند قدمى ابنها الرضيع.

وذلك يخدم قضيتين هما: أن على الإنسان أن يسعى على قدر جهده كما فعلت هاجر، وفى الوقت الذى نتذكر فيه

الأسباب والمسببات نتذكر أيضًا المسبب، فالجوارح تعمل والقلوب تتوكل.

وما دام إبراهيم قد أسكن ذريته عند بيت الله المحرم فما هى شغلتهم هناك؟ يقول إبراهيم فيما ذكره الحق: ﴿ **لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ** ﴾ [إبراهيم: ٣٧] أى ليعبدوا الله. ثم دعا إبراهيم ألا يكونوا وحدهم، فقال ﴿ **فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ** ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وأن يرزق الحق هذا البلد الذى به البيت، فيقول سبحانه: ﴿ **يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا** ﴾ [القصص: ٥٧] يأتون به رغمًا عنهم، وإنك لتجد فى «الطائف» العنب والخوخ لا يبيعه أهلها لك، ويقولون لك إنه لمكة اذهب واشتر من هناك.

فأصبح البيت الحرام قوامًا لحياة الناس، ومن دخله كان آمنًا ولو كان قاتلاً، وأعطى لهم السيادة، كما رأينا قريش تتعالى على العرب وتتفاخر عليهم بوجود المسجد الحرام لديهم، فلا تتعرض أى قبيلة لقوافلهم فى أى مكان؛ لأن موسم الحج سوف يأتى وتنتقم قريش من كل من تعرَّضَ لقوافلها. لذلك فلا يتعرض لهم أحد، وهكذا فإن الحق قال: ﴿ **أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾ [قريش: ٤].

* * *

*** ولكن إذا كان الحق قد جعل البيت الحرام آمنًا، فكيف نفسر ما روته أحداث التاريخ عن الحروب التى دارت حول الكعبة وأدت إلى ضربها وتهدم بعض أجزائها، مما جعل الناس مفزعين غير آمنين على أنفسهم؟**

ـ إننا يجب أن نعرف أن بيت الله الحرام آمن كإخبار شرعى.

*** وما معنى الإخبار الشرعى؟**

معناه أن الله يقول: إن هذا البيت آمن إن التزمتم كمؤمنين أن يكون البيت آمنًا طاعة لله. وإن لم تلتزموا فلستم مؤمنين، إذن فهناك فرق بين خبر كونى لا يتخلف، وخبر شرعى يأمر الحق به فيُطاع أو يُعصى.

فالبيت الحرام إذن يحظى أهله بالرزق من كل الثمرات، ويحظون بالأمن إن التزموا ويكون البيت آمنًا كما أراد الله. وهذا هو قوام الحياة الدنيا، أما قوام الحياة الآخرة فهى الحياة المتصلة المستمرة غير المحدودة بزمان، ولها وسائلها.

*** وما هى وسائلها؟**

ـ هى أن يكرم الحق زوار بيته الحرام، فيكفر عنهم سيئاتهم ويغفر لهم ذنوبهم، فيعودون كيوم ولدتهم أمهاتهم.

الإيمان هو المقصود

*** ما المقاصد الشرعية من فريضة الحج؟**

ـ ليست مقاصد شرعية أو غير شرعية، ولكن هناك فرض فرضه الله علينا. وعندما يفرض الحق علينا أمرًا من الأمور فإن علينا الالتزام به ولا نسأل عن المعانى أو العلة من ورائه؛ لأنها حينذاك لن تكون عبادة ولن تكون عقيدة. العبادة والعقيدة هما فى معناهما طاعة؛ لأنه إذا قيل فى مقاصد أو حكمة أو شرعية الصلاة إنها رياضة بدنية وتقوية للعضلات، فكيف يكون الجواب بالنسبة إلى من يصلى جالسًا أو نائمًا إذا كان غير مستطيع، وإذا كان يقال فى حكمة الوضوء إنه نظافة، فماذا تقول عن التيمم بالتراب إذا تعذر وجود الماء للوضوء. وإذا قيل فى حكمة الصوم إنها لكى يشعر الغنى بآلام الفقير، فإن معنى ذلك ألا يصوم الفقراء... وهكذا فى بقية الفروض، لا تُقاس بمقاصد وأهداف وحكمة شرعية أو غير شرعية؛ لأن شرط الإيمان أن تطيع دون أن تعلم السبب، فلو عرفْتَ الحكمة والمقصد مقدمًا، فذلك لا يُسَمَّى إيمانًا، وإلا فأين الإيمان إذا انتظرت ألفًا وأربعمائة سنة حتى تعرف الحكمة من تحريم لحم الخنزير.

لقد آمنا بما أمر الله وأطعناه، فإذا جاءت الحكمة وظهرت بعد ذلك، فإن ذلك يزيدنا إيمانًا ويقينًا بأن ما أمر به الله وفرضه علينا هو الخير كل الخير، وإلا هل يمكن أن نسمى الأوربيين الذين اكتشفوا بالعلم الحديث وجود دودة شريطية مهلكة للإنسان أنهم مؤمنون؛ لأنهم عرفوا مخاطر لحم الخنزير فتجنبوه؟ إن الإيمان بعد معرفة العلة يفقد اسمه ومعناه، وما دمْتَ قبلْتَ أن تكون مسلمًا مؤمنًا فعليك الطاعة والتسليم؛ لأن أحدًا لم يجبرك على الإسلام والإيمان، أنت اخترته بنفسك، فعليك أن تقبل كل ما يتطلبه منك، والله لا يكلف إلا من آمن به.

وعلى المؤمن الالتزام بما أمر الله، ولا يسأل عن أسباب الأمر أو عما وراء الفعل، فهل أنت تسأل الطبيب عن الأسباب التى جعلته يختار هذا الدواء للمريض دون سواه؟ إنك حينما تسأل لماذا تتناول هذا الدواء، تقول: لأن الطبيب كتبه، ولا أحد لماذا كتبه؟ وما هى الأسباب؟ وإلا فعليك أن تدخل كلية الطب سبع سنوات لتعرف، فإذا كان هذا هو حال البشر مع البشر، فكيف بحال البشر مع رب البشر؟! إذا أمر فسمعًا وطاعة؛ لأن الله لا يريد إلا خيرًا بالناس مؤمنهم وحتى كافرهم. انظر بتأمل إلى رحمة الحق وعظمته حين يخاطب الكافرين به ويسميهم «الناس» فيقول لهم: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا**

﴿تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة: ١٦٨].

إنه يطلب منهم ـ رغم كفرهم به ـ أن يأكلوا الحلال الطيب، ويحذرهم من الشيطان وأعوانه. إنه ربهم الحريص عليهم الرحيم بهم، حتى لو كفروا به، دون أن يطلب منهم جزاءً ولا شكورًا، ولكنه حين يكلف يحدد الخطاب متوجهًا به إلى من آمنوا به، فيقول الحق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

فإذا كان الله حريصًا على الرزق الحلال لمن كفروا به، أفلا يكون ـ سبحانه وتعالى ـ أحرص وأحب وأرحم بمن آمنوا به، فتكون كل تكليفاته لهم شاملة للخير كل الخير، بما تحتويه من فوائد روحية وجسدية؟! فأنت فى الحج مثلاً تترك الأهل والأصدقاء والأحباب والأوطان، تترك أنيسك المادى والمعنوى من أهلك ووطنك، وتتحمل مشاق السفر والاغتراب عن كل هؤلاء، لتتجرد وتتفرغ من إلف العادة إلى حرارة العبادة؛ لتكون بالقرب من الله مُلَبِّيًا مُسَبِّحًا ذاكرًا شاكرًا مُصلِّيًا طائعًا باكيًا طالبًا رحمة الله، فيهون كل شىء أمامك.

ويصغر كل شىء أمامك وأنت فى رحاب الله فى البيت

الذى اختـاره الـله، وبالقـرب من الرسـول الـذى أرسله الله، وسعيك لهذا اللقاء برغبتك واختيارك واشتياقك هو امتثال وطاعة وتسليم لمن كلفك وأمرك ودعاك فلبيتـه، وأمرك فأطعته، وكلفك فنفذت التكليف، وذلك هو الإيمـان، وذلك هو الدليل على قوة الإيمان.

* مارأى الإسلام فى الحج على نفقة الدولة؟

- لم يفرض الحج وهو الركن الخـامس من أركان الإسلام إلا على المسلم المستطيع، بنص الآية: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ [آل عمران: ٩٧].

والاسـتطاعة تـعنى أن يكون لديك مـال حلال فـائض عن حاجتك وعن حاجـة من تعول بما ستتركه لهم من نـفقات عندما تكون حاجـا، وأن تكون لديك الصحة والمقدرة على أداء فـريضة الحج بكل ما تتطلبـه من مناسك. إذن فالحج يتطلب اسـتطاعتك وقدرتك الماليـة والجسدية، فـإذا فقدت شـيئًا منهـا فليس عليك شىء، ولا أحـد مطالـب أن يعـينك على ذلك، والدولـة منهكة بأعباء ثقيلة، ولا يجب أن تقوم بتسفـير أى واحد على نفقتها إلا إذا كان وجوده فى هذا المكـان ضرورة لخدمة الحجـيج، وما عدا ذلك لا يجوز.

ورُبَّ مسلم لم يحجَّ أوفر حظا من الذين يحجون؛ لأن الذى يؤدى فرض الحج لا يعلم أيتقبلها الله منه أم لا، أما غير القادر على الحج فقد سقطت عنه الفريضة، بشرط أن لا يقدر على نفقات الحج بحيث لا يقول مثلاً سأنتظر حتى أشترى السيارة أو أبنى بيتًا، أو أعمل متاعًا من متاع الدنيا، فالحج مقدم كفرض على مثل هذه الأمور التى ليست ملحة أو ضرورية. وإذا كان المسلم قادرًا على تحمل نفقات الحج وأوفدته الدولة لأداء فريضة الحج فقط لغير ضرورة يتطلبها وجوده فى موسم الحج، فعليه أن يتنازل عن هذه الفرصة ويحج من ماله الخاص، وأما إن كان طبيبًا ذهب لعلاج الحجيج، أو ساعيًا ذهب لحمل أمتعتهم، أو دليلاً ليرشدهم إلى الأماكن، أو واعظًا دينيا يتولى شرح المناسك، وغير هؤلاء ممن لهم ضرورة، فلا بأس من حجهم على نفقة الدولة، لأن لوجودهم عملاً وهدفًا. أما القادرون الذين ليس لوجودهم مع بعثة الحج أى دور، فعليهم أن يوفروا النفقات التى ستنفق عليهم، فالدولة بحاجة إليها لتطعم أو تكسو إنسانًا أو توفر فرصة عمل لشاب عاطل، أو علاج مريض محتاج، فمثل هؤلاء أحق بالنفقات من الذين ترسلهم الدولة للحج على نفقتها، فمثل هذه الأمور لا تجوز ويجب إعادة النظر فيها.

*** وهل يجوز الحج من خلال جمعية أو رابطة؟**

ـ إذا كان الحج من خلال تنظيم جمعية أو رابطة بحيث يشترك فيه مجموعة من الناس بنفقات محددة، فهذا لا بأس به، وهو حج مقبول إن شاء الله، تتضامن فيه الجهود من خلال اشتراكات بدفع مبلغ من المال ثم بعد ذلك بدفع مبلغ آخر، وهكذا.

*** هل يجوز الحج عن ميت؟**

ـ نعم يجوز، فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن فريضة الله على عباده فى الحج، وأدركت أبى وهو شيخ كبير لا يثبت على راحلة، أفحج عنه؟ قال: نعم. حديث متفق عليه.

وفى حديث حسن صحيح عن لقيط بن عامر ـ رضى الله عنه ـ أنه أتى النبى ﷺ فقال: إن أبى شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن (الارتحال للسير والحج للعمرة)، فقال عليه الصلاة والسلام: حج عن أبيك واعتمر. رواه أبو داود والترمذى. قال حديث حسن. هكذا يجوز الحج عن العاجز. وحكم الميت هو حكم العاجز، فيجوز الحج عنه.

*** ما حكم حج تاجر المخدرات من ماله إذا اعتزم التوبة؟**

ـ إذا تاب تاجر المخدرات فعليه أن يجتنب المال الذى اكتسبه من هذا الطريق، ثم يتحرى مالاً حلالاً ويحج منه؛ لأن مال المخدرات جاء من باطل وبطريق غير مشروع، والله طيب لا يقبل إلا طيبًا، فمن شروط قبول الحج أن يكون حلالاً، ومال المخدرات ليس بحلال.

*** هل اعتمر الرسول؟ ولماذا قال إن عمرة فى رمضان تعدل حجة؟**

ـ اعتمر الرسول أكثر من مرة، وإلا لما قال فيما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما: عمرة فى رمضان تعدل حجة، أو حجة معى. (مع النبى ﷺ) متفق عليه.

أما لماذا عمرة فى رمضان تعدل حجة؟ فإن السماء تكون مهيأة بالأنوار، وتهبط منها الملائكة إلى الأرض بأكثر من الحصى؛ ليتوبوا ويستغفروا للصائم، فما بالنا بالصائم وهو يطوف بالكعبة ويسعى بين الصفا والمروة، فقد جمع بين الحسنيين: الصيام كفريضة، والعمرة كنافلة من النوافل التى يثاب المرء عليها ثوابًا بعظم الجهد والمشقة والمضاعفة التى يبذلها الصائم فى أداء مناسك العمرة، فضاعف الله ثواب عمرة رمضان لتعدل حجة.

*** ما تفسير فضيلتكم للرغبة التى تجتاح الحاج فى العودة مرات ومرات إلى بيت الله؟**

ـ يقسم الشيخ الشعراوى قائلاً: والذى نفسى بيده لو لم يكن الحج ركنًا إسلاميا لحتم شوق القلب ولهفة الروح وهيام الوجدان على المؤمن أن يرحل إلى بيت الله ليشهد مهابط الوحى الأمين ومطلع سيد المرسلين وخاتم النبيين، وليشحن روحه بطاقات اليقين من ذكريات هاجر وفدائيات إسماعيل وإبراهيم.

والمؤمن البعيد عن البيت يتوجه فى صلاته إلى جهة من البيت، ولكنه حين يشهد البيت يقدس كل جهاته فيطوف حوله، وبيت الله مكانه وبناء الكعبة مكين، وقد رفع رمزًا لمركز القداسة ووحدة التوجيه، فالبناء شعار محسن يحدد على الأرض بمدى الطول والعرض، ولكن بعد الارتفاع لا ينتهى عند البناء؛ لأن بيت الله موصول بالسماء.

والمؤمن البعيد عن البيت يتوجه فى صلاته إلى جهة من البيت، ولكنه حين يشهد البيت يقدس كل جهاته، فيطوف حوله. وقد عرفنا كثيرًا ممن حجوا بادئين يصبحون أحرص المؤمنين على أن يعودوا ويحتالون ليفلتوا من قوانين بلادهم فى الحظر؛ ليؤدوا الفريضة مرة أخرى، فلو لم يشهد هؤلاء المنافع

التى وعدهم بهـا ربهم بقوله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨] ولو لم يتذوقوا حلاوة العطاء وروحانية الصفاء، لاكتفوا بما أدوا من فرض لم يطلبه الله إلا مرة واحـدة، ولكن كيف يعبرون عن حفاوة ربهم بضـيفه فى بيته وهو أكرم من احـتفى وأقدر من أثاب؟

وهل يمتنع على العقل أن يقـتنع بضرورة الحج إلى بيت الله وهو يسـتقبله فـى كل صلاة ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٥٠] وإذا كان المؤمن قد علم البيت على اليقين، فلماذا لا يشهده حتى يرتقى إلى عين اليقين؟ وحين تفيض عليه بركات البيت فى البلد الأمين يكون قد ظفر بمرتبة حق اليقين.

ولما كـانت الكعبـة رمزًا لوحـدة القـصـد وشعـارًا لمحـور الالتفاف، كان لابد أن يجعل للطواف مبدأ واحدًا؛ حتى لا يكون لكل طائف مبدأ من حيث دخل. وبـهذا تنضبط مظاهر الوحدة، بجعل الحجر الأسود بداية موحدة وجـعل استلامه شعيرة، ولهذا أخذ الحجر قـداستين: قداسة كونه من البناء، وقـداسة أنه علامة الابتـداء. وسـبـحـان اللـه الذى جـمع فى مناسـك الحج بين النقيضـين، فحجر الكعبة يُقـبَّل ويُعظَّم، وحجر فى منى يُرجَم!

فلا نظر للذاتية، ولكن للغرضية، فالحجر فى الكعبة شعار إيمان والحجر فى منى رمز شيطان.

وهكذا تتجلى عظمة الإيمان بالله فى أن ينقل الإنسان من حجر؛ لأنه وثن، إلى حجر مثله؛ لأنه شعار، فالأول كفران؛ لأنه مراد الخلق، والثانى إيمان؛ لأنه مراد الحق. وهكذا يصبح الحجر - وهو أدنى الأجناس - أعز مطلوب لأكرم الأجناس، يزدحمون حوله ويستميتون للوصول إليه. فسبحانك ربى! لقد طهرت الإنسان من صلفه، أذهلته عن كبريائه، فبأمرك يا ربى نفضت عند الحجر كبرياء البشر، وأعجب من ذلك أن يكون نشيدهم عند الاستلام: «الله أكبر». وذلك هو التوحيد المقطر، والحق يقول: ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج: ٣٢].

ولما كان بيت الله هو القصد الأصيل الذى تهوى إليه الأفئدة، كان هو المحور الذى تدور حوله المناسك وتحيط به أماكن الشعائر ويُضاعَف ثواب الصلاة فيه إلى مائة ألف، وأول بيت تُشَدُّ إليه الرحال، كما أخبر بذلك الصادق الأمين.

* لماذا جعل الله ثواب الحج المبرور الجنة؟

- إن الحاج يبدأ أعمال الحج وفى القلب نية، وعلى الجسد

تجرد مما اعتاد من ثياب تشخِّصُ جاهه وتنم عن تميزه، فيها عمل الصنعة وتكلف الأناقة مستبدلاً بكل ذلك غير مخيط أبيض كالفطرة، حتى يكون الحاج عبدًا فى ركب مندمجًا فى سوائية الخلق حين يُقبِلون على الحق.

ومن هنا يدخل الحاج فى سلام مع الوجود كله، سلام مع نفسه التى سالمته فرضيت أن تمتنع عن كثير مما أحل الله لغير المحرم، فلا شهوة له فى زينة ولا طيب، فضلاً عن رفث أو فسوق، وهو فى سلام مع الناس بلا جدال، وفى سلام مع النبات فلا يقطعه، ومع الحيوان فلا يصيده ولا يذبحه، وإن صاده فداه، ويظل هكذا حتى يتحلل.

وفى الإحرام من المواقيت إشعار النفس بأنها دخلت حمى الله، وأقبلت على مكان غير عادى، فلا بد أن يخرج عن كثير من العادات؛ تربية للمهابة واستحضارًا للقداسة.

فالحج منهج جامع لكل عناصره قلبًا وبدنًا ومالاً، فهو تكليف يشتمل على مشقات متعددة؛ لأنه يقيد الفعل ويقيد زمانه ويقيد مكانه، وليس ذلك لركن سواه، فالشهادة تقيد فعل اللسان، ولكن فى حرية من الزمان والمكان، والصلاة تقيد الفعل قولاً وعملاً وتحدد الزمان، ولكن فى حرية من المكان، والزكاة تقيد فعل التصرف، ولكن فى حرية زمان ومكان، فالحصاد عند

أى وقت. . . والصوم يحدد الإمساك عن شهوتى البطن والفرج، ويحـدد الزمان، ولكن فى حـرية مكان، ولكن الحج يحـدد كل هذه العناصر، فـهو مقيـد فى زمن ومقيد فى مكان، ولهـذا كان التعبد فـيه مركبًا، وفضل من الله أنه جعل جـزاءه إذا كان مبروراً الجنة، واعتبر العبد بغير ذنوب كيوم ولدته أمه.

* * *

* ما هى خصوصية الحج؟

ـ الحج تجمع عـقدى فـذ ومؤتمر عـالمى فريد، دعـا إليه رب واحد، وحدد دوراته فى زمان واحد، ورسم منهجه بكتاب واحد على رسـول واحد، واسـتجـاب له المؤمنون بزى واحـد وقصـد واحـد. وفى جـلال هذه الوحـدة انصـهـرت الأجناس والألوان واللغات، وذابت العـصبيات والبـيئات والطبقـات، فلا نسب إلا إلى الإسلام، ولا حسب إلا فى الإيمان. وتلك خصوصية يجب أن تسـتغل تعـارفًـا يربط الشعـوب بالمودة، وتآلفًـا بين الأجناس بالتـراحم؛ حتى يقف كل مـسلم على وضع إخـوانه فى كل بلد وعلى خط دينه فى كل إقليم، وحينئذ تتعاون الطاقات، وتتكامل الإمكانات، ويصبح المسلمون ـ كمـا قال الرسول ﷺ ـ «كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا».

مشكلة بين العلماء

*** من المعروف أن نسل الرسول ﷺ مطهر من المشركين، فكيف يتأتى أن يكون والد إبراهيم هو «آزر» الذى ينتهى إليه النسب الشريف؟**

هناك مشكلة بين العلماء حول قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً**﴾ [الأنعام: ٧٤] فهل أبو إبراهيم هو «آزر» أم «تارح»؟ وإذا كان «آزر» فكيف يتفق مع قول الرسول ﷺ: «وما زلت أنتقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»؟! فقد أخبر أنه من سلسلة نسب موحد لا يمكن أن يكون للشرك فيه مجال. والحق يقول: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾ [التوبة: ٢٨] ولو كان «آزر» أبًا حقيقيا لإبراهيم لكان من ذريته «محمد». وهذا محال؛ لأن النسب الشريف مطهر من جهة الآباء والأمهات من الشرك، فكيف نفسر قول الحق ﴿**لأَبِيهِ آزَرَ**﴾؟

نأخذ اللغة واستعمالات القرآن فى معنى الأبوة. والقرآن

صريح فى أن الأبوة كما تطلق على الأب الحقيقى تُطلَق على«أخو» الوالد أو عمه. والدليل أن القرآن الذى قال: ﴿**لأَبيه آزَرَ**﴾ هو الذى قال: ﴿**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**﴾ [البقرة: ١٣٣].

إذن فإبراهيم أب وإسماعيل أب ويعقوب أب. هؤلاء الآباء المذكورون فى هذه الآية. صحيح أن إبراهيم أب؛ لأنه جد، ولكن إسحاق ليس أبًا؛ لأنه أخو يعقوب مع إسماعيل، إذن فالعم أب أيضًا. وحين تُطلَق كلمة الأب حتى فى أعرافنا إذا جاء شخص إلى آخر وقال له أبوك موجود، انصرف هذا إلى أبيه الحقيقى دون ذكر اسمه. ولكن لو قال له: أبوك محمد، فهو يعنى عمه. ولو قال الحق: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ**﴾ [الأنعام: ٧٤] وسكت، يصح أن يكون المقصود هو أباه الحقيقى، ولكنه قال: ﴿**لأَبِيهِ آزَرَ**﴾ تمييزًا له ليخرج الأب الحقيقى من كلمة أب.

*** ولكن لماذا يطلب الله من الرسول أن يذكر: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ﴾؟**

ـ لأن الرسول ﷺ جاء على فترة من الرسل، وجاء فى

الأمة المواجهة للدعوة، أمة العرب، إلا أن إبراهيم يعيش فى عقائد هؤلاء القوم، فهو الذى رفع قواعد الكعبة، ولولا الكعبة لكانت قريش كسائر القبائل، فبالكعبة تحققت لقريش السيادة والمهابة والسلطان.. ينتقلون بتجارتهم شمالاً وجنوبًا، فلا يتعرض لهم أحد؛ لأن من سيتعرض لهم سيأتى فى العام القادم للحج إلى الكعبة.

ولذلك قلنا عندما تعرضنا لقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١**﴾ [الفيل: ١] وجاءت بعدها الآيات ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ**﴾ [قريش: ١ - ٢]، إنه لو تعرض البيت للهدم فى حادثة الفيل لانتهت سيادة قريش، ولكن الله حفظه لهم. لماذا؟ ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣**﴾ [قريش: ٣]، الذى رفع قواعده إبراهيم، وإن كانوا يعبدون الأصنام، إلا أن لهم صلة عقدية بإبراهيم، فأراد الحق أن يدخل إليهم من خلاله؛ ليرقق قلوبهم بشأن المسألة العقدية لمواجهة الأصنام، وإبراهيم الذى رفع قواعد البيت حارب فى قومه الأصنام.

وكما أن لإبراهيم مكانته عند الكفار، فله مكانته أيضًا عند اليهود والنصارى، فكل منهم يدَّعيه لنفسه؛ بدليل قوله

تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠] ثم يوضح الحق لهم أن إبراهيم مسلم، وإذا كنتم تعتزون به فيجب أن تكونوا مسلمين مثله وتتبعوا محمدًا ودينه الذى أحيا ملة إبراهيم، فيقول الحق: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٧، ٦٨].

ويؤكد الحق أن إبراهيم الذى له مكانة لديهم استنكر عبادة الأصنام فقال لعمه: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤].

وكما اهتدى إبراهيم إلى أن الأصنام ضلال، فقد أراد الحق أن يبين له أسرار ملكوته، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: ٧٥]. لهذا عندما جاء إبراهيم يتحدث عن الشركاء قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٧]، ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

﴿يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨١].

فإبراهيم أسند كل شيء إلى الله خالقه، وإن كانت الظواهر تدل على أن للناس دخلاً فى المسألة، ولكن لو سلسلت كل المسائل والظواهر لوجدتها فى النهاية تصل إلى المسبب الأعلى وهو الله. ولذلك قفز إبراهيم من الحلقات الظاهرية إلى الحقيقة، عرف الحقيقة ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠]، فالأطباء يعالجون، لكن الله هو الشافى، وهكذا عرف إبراهيم الحقيقة. ولذلك أخذ سلطانًا كبيرًا فى العقيدة مُعترَفًا به من كل الأنبياء، لذلك قال الله عنه: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم: ٣٧]، أوفى بما أمره الله به أن يفعله. يقول الحق: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] فكان رد إبراهيم ببشريته قائلاً: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤]، أى اجعل من ذريتى أئمة، فقال الحق: لا ليست المسألة وراثة دم، إنما يأخذ الإمامة مَنْ يستحقها، لذا لما جاء إبراهيم وزوجه هاجر وابنهما إسماعيل فى مكان صحراوى لا شيء فيه من ضرورات الحياة وهو الماء، قال إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ

﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦] . تنبه إبراهيم إلى حكاية الإمامة التى لا ينالها من ذريته إلا من قد آمن، فدعا الله ألا يرزق أيضًا إلا من قد آمن، فلم يفرق إبراهيم بين عهد الإمامة وعهد الرزق، فأوضح له الحق بأنه فى مسألة الرزق يرزق الكافر أيضًا؛ لأن الطعام من عطاءات الربوبية، إنما المناهج من عطاءات الألوهية، فهو رب كل الناس استدعاهم للوجود ويرزقهم؛ لأنها عطاءات الربوبية، أما من يلتحق بذات الإله لأنه إله فقط وإن أفقره، ويخلص الارتباط بخالقه، فإن الله يعطيه عطاءات من أسرار كونه. ولذا يقول الحق: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فحين تتقى تلتحم بالحق، فتكون فى دائرة فيوضات الحق، ولذلك فى هجرة الرسول ﷺ قال أبو بكر وهو فى الغار للرسول: «لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا» مشيرًا بذلك إلى الكفار، ولكن الرسول ﷺ يرد عليه أن هذا صحيح ظاهريا، وينقله إلى ملكوت آخر قائلاً: «ما بالك باثنين الله ثالثهما؟»، يعنى اطمئن لا أحد يرانا؛ لأننا فى معية الله الذى هو ثالثنا، والله لا تدركه الأبصار، فلن تدركنا أبصار الكفار.

وهكذا فعالم الملكوت هو الشىء الذى يغيب عنا وراء الأسباب، ولأن إبراهيم أوفى ما أمره الله به، فقد أطلعه الله على أسرار الملكوت، وكلما يأتى له شىء جديد يتيقن، وإبراهيم

كان حقا من الموقنين فى كل أدوار حياته؛ لأن الله أعلمه ما وراء مظاهر الملك والأشياء، وأراه عواقبها، مثلاً لما أخذوه لطرحه فى النار، طبعًا الواحد فى مثل هذه الظروف يريد مَنْ يمد يده إليه لينجيه، فجاء جبريل يسأل إبراهيم: «أليس لك حاجة»؟ قال: «أما إليك فلا».

فقد علم أن النار حارقة بالذى خلقها وهو الذى يستطيع ألا يجعلها حارقة، فهذا يقين، لذا لم يكن الحظ السعيد أن ينجو إبراهيم من النار، وكان من الممكن ألا يمكنهم الله منه، ولكنه مكنهم منه؛ حتى لا يقولوا هرب منَّا، وكان من الممكن أن يرسل الله مطرًا يطفئ النار، ولكنه لم يفعل حتى لا يقولوا: «لو لم تنطفئ النار لأحرقناه»، ولكن إبراهيم لم يهرب ولم تُطفأ النار؛ليشاهد القوم الحقيقة التى عرفها إبراهيم مسبقًا، فكانت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم.

وكما ابْتُلِىَ إبراهيم فى أول حياته بإلقائه فى النار، فقد ابْتُلِىَ فى نهاية حياته بتعريض ابنه الوحيد للذبح، والذى لم يأتِه إلا بعد أن كبرت به السن، وكان من الممكن أن يأمر الله غير إبراهيم بقتل ابنه، ولكن لا، بل هو الذى يذبحه بأمر الله ووحيه، وكان من الممكن ألا يستجيب إبراهيم عندما رأى فى المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل، ولكنه يعلم أن رؤيا الأنبياء حق، ورضى بالقضاء فرفع

عنه، لذلك لو رأيت أحدًا طال عليه القضاء، فذلك لأنه لم يرضَ به؛ لأن الله لا يرفع قضاءه عن إنسان حتى يرضى به بقلبه لا بلسانه؛ لأن أحدًا لا يستطيع أن يلوى إرادة خالقه. لذلك رضى إبراهيم بقضاء ربه فى ذبح ابنه إسماعيل، ولم يرو أن إسماعيل عبر عن سخطه على أبيه فيحرم من الجزاء، وإنما قال: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. لم يقل له افعل ما تريد، بل قال: ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ ويكمل الحق ما حدث فيقول: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠٣ - ١٠٧].

***

الجهاد والهجرة والحج

* **ما العلاقة بين الجهاد والفلاح فى قول الحق : ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾** [المائدة: ٣٥].

يدعو الحق المؤمنين إلى الجهاد؛ لكى تكون كلمة الله هى العليا. والجهاد فى سبيل الله فيه الفلاح، إن لم تنتصر على عدوك استشهدت وما عند الله خير وأبقى، وهذا ما جعل أحد المجاهدين فى عهد الرسول ﷺ يقول وفى يده تمرات يأكلها: «ما بينى وبين الجنة إلا هذه التمرات»، فألقاها ودخل المعركة متعجلاً؛ لأنه وثق أن الحياة التى تنتظره فى الآخرة خير من الدنيا وما فيها.

ومن المعروف أن الجهاد لم يفرض فى أول الأمر فى الإسلام، وتأخرت الدعوة إلى الجهاد؛ لأن المسألة ليست انتحاراً، وإنما الجهاد إعداد واستعداد، وبذل للجهد، ليس ساعة المعارك فقط بل قبل المعارك، وذلك بالتربية الإيمانية أولاً، وأن تأخذ من منهج الله ما يحمى منهج الله.

والحق قد أمرنا بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾

[الأنفال: ٦٠] أى استعدوا بكل ما تملكون من وسائل القوة؛ حتى تأمنوا مكر أعدائكم وخداعهم، فلا تأمنوا عهدهم ومسالمتهم؛ لأن الغدر فى طبعهم؛ لأنكم أيها المسلمون إنْ أوقفتم تقوية أنفسكم واستعدادكم لعدوكم فى أى وقت، غدر بكم وانتهز منكم فرصة، وإنما اجعلوا أعداءكم يشعرون دائمًا أنكم تستعدون؛ مما يجعلهم يمتنعون عن حربكم.

فما الذى يمنع العالم من معركة عالمية ثالثة؟ إنه توازن الرعب، توازن الخوف بين القوى الكبرى، كل منها لديها قوة واستعداد يجعلها جميعًا تخشى بعضها ولا تجرؤ قوة على مهاجمة القوة الأخرى.

وكذلك يجب أن نكون كمسلمين على قوة واستعداد؛ تلبية لنداء الجهاد فى أى وقت، والجهاد يجب ألا يكون بقوة السلاح فقط، بل الجهاد بالكلمة وبالكتاب وبالكتيبة وبالسلاح؛ لأنه مطلوب أمة إيمانية متحضرة تأخذ بكل وسائل العصر فى جهادها ضد أعدائها.

*** ماذا يعنى قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً**

﴿وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

إن الله قد فضل المجاهدين على القاعدين من أولى الضرر درجة، ولكن شاء عدل الله أن يتساوى أولى الضرر مع المجاهدين؛ لأنه لا ذنب لهم فى عاهاتهم ليحرموا هذه الدرجة، فاستحقوا بصبرهم على بلائهم أن يتساووا مع المجاهدين بصبرهم على الجهاد، في الثواب ﴿وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾، ثم أوضح الحق ـسبحانه وتعالى ـ أن المجاهدين مفضلون على القاعدين من غير أولى الضرر ﴿أَجْراً عَظِيماً دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ ويلاحظ أن الله لم يقرن جهاد المجاهدين بثمن، ولكن جعل لهم أجرًا عظيمًا وكل واحد يعطى على قدره. وعطاء الله فوق كل عطاء لمخلوق أجرًا عظيمًا، درجات منه ومغفرة ورحمة لهؤلاء المجاهدين، ولكن هل يستوى المجاهدون فى الدرجات؟ لا.. لأن هناك فرقًا بين الخروج من الوطن للجهاد وبين الجهاد نفسه. يقول الحق فى سورة التوبة: ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ

﴿أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة: ١٢٠، ١٢١].

وقد عد الفقهاء درجات الجهاد فى سبيل الله سبعًا كما وردت فى الآيات السابقة وهى: الظمأ، والتعب، والمخمصة فى سبيل الله، ووطء حصون العدو، والنيل من العدو، والنفقة قلت أم كثرت فى سبيل الله، وقطع الوادى فى سبيل الله. فمن يأتِ بواحدة منها فله درجة من درجات الجهاد، ومن يقم بها كلها يحصل عليها كلها، ومن يقم بأربع يحصل على أربع، ومن يقم بست يحصل على ست. وهكذا فللمجاهدين درجات تختلف باختلاف نوعية جهادهم.

وإذا كان الحق حين رغب المؤمنين أن يكونوا مؤمنين مجاهدين لتكون كلمة الله هى العليا، فإنه إذا ما كان وتخلف أحد من المؤمنين عن الجهاد فى الصف الإيمانى فإنه يكون قد نفع نفسه بالإيمان، بعكس المجاهدين الذين ينفعون سواهم بالإيمان، والحق بهذا يريد أن يهيئ كل من مس الإيمان قلبه حتى لو كان فى مكان به كفار، يقول له تخلص من المكان الذى أنت فيه لتنضم إلى ركب المجاهدين وتشيع الإيمان فى سواك، وتحب الناس وتنفعهم بما تحبه وتنفع به نفسك، فإذا اعتذر بأنه لا يقدر

وضعيف لا يستطيع أن يهجر أرض الكفر ليؤدى واجبه الإيمانى، يقطع الله عليه كل حججه بأن أرض الله واسعة للهجرة، فيقول الحق : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴿٩٧﴾ ﴾ [النساء: ٩٧]، تخاطب الملائكة ظالمى أنفسهم فى هذا الآية ﴿ **قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ** ﴾ عندما رضيتم بالبقاء فى أرض الكفر دون أن تهاجروا منها وظللتم فيها محبوسين بلا حركة نحو الهجرة للانضمام إلى موكب المجاهدين، فماذا يكون رد من ظلموا أنفسهم؟ يكون جوابهم ﴿ **قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ** ﴾ وقولهم هذا يفيد أن قومًا استضعفوهم، فلا يقدرون على الخروج؛ لأن الكفار «ماسكين لهم ذلة»، أو أنهم لا يعرفون طرق الهجرة.

ولكن كل هذه المبررات ليست كافية لتعوقهم عن الحركة ومحاولة الهجرة؛ فرارا بدينهم إلى أرض يأمنون فيها.

لذلك تؤنبهم الملائكة ﴿ **قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا** ﴾ فكون قوم استضعفوهم مسألة لا قيمة لها؛ لأن

الذى يمسكه مكانه ووطنه والذين حوله أصبحت ثقته بالأسباب لا بالمسبب الذى أرضه واسعة، فمن يضق به مكانه فليرحل إلى مكان آخر؛ لأنكم ببقائكم محبوسين فى أرض تقعدكم عن الجهاد فى صفوف المؤمنين والانضمام إلى ركبهم، فإنكم بذلك تنقضون قضية خلافة الإنسان لله فى الأرض. فما دام الإنسان خليفة الله فى الأرض فهو خليفته فى كل الأرض لا فى جزء من الأرض. فسبحانه وتعالى يقول: ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾ [الرحمن: ١٠].

ولكن الحق يستثنى المؤمنين المستضعفين بحق كالعجزة والنساء والولدان عن أن ينالهم عذابه؛ لأنهم لم يهاجروا، ثم قال الحق: ﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٩].

وكان من المنتظر أن يقول الله إنه يعفو عنهم بدلاً من أن يعلق عفوه برجاء (عسى) ممكن أن يحدث أو لا يحدث، ولكن لذلك حكمة أرادها الحق سبحانه، وهى أنه يدلنا على أن مسائل الاستثناءات يجب على الإنسان أن يأخذها فى أضيق الحدود، ويقول الحق: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠].

فالهجرة يجب أن تكون فى سبيل الله. عندما لا يأمن المسلمون على دينهم يهاجرون إلى دار أمن، كما فعل المسلمون فى عهد رسول الله ﷺ عندما لم يأمنوا على دينهم فأمرهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة. ولماذا الحبشة؟ لأن الله قد بسط لرسوله كونه، فاستعرض قضية العدالة فى الكون فلم يجد إلا الحبشة؛ لأن هناك ملكًا لا يظلم عنده أحد كما قال ﷺ. والعدل فى ذاته وجوده فى أى مكان يجعله دار أمن وإن لم يكن دار إيمان. أما هجرة المسلمين إلى المدينة فهى هجرة إلى دار إيمان.

ولكن أهناك هجرة بعد ذلك وقد قال الرسول ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»؟ نعم هناك هجرة، فكما يقول الرسول ﷺ: «المهاجر من هجر ما حرم الله». وطلب العلم فى الأقطار هجرة، والحج هجرة، فكل هذه هجرات يقصد بها طاعة الله فيما أمر به، ويجب أن تكون هجرتك بنية سعة حركتك الدينية لا بنية سعة الرزق؛ لأنه مضمون. ولكن لماذا يهاجر الناس؟ لأنهم لا يريدون مجرد الرزق فقط، بل يطمعون فى أكثر من ذلك؛ لأن الرزق فى أى مكان أنت موجود فيه مضمون بضمان الله له. ولا تكون الهجرة إلا لتجد مجالاً أوسع لطاعة ربك ﴿**وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً**﴾ [النساء: ١٠٠]،

فما معنى «مراغمًا»؟ أصلها «الرغام» أى «التراب» فيقال «رغم أنفه» أى ذهبت أنفه إلى الترب باعتبار أن الأنف هى المكان البارز المرتفع موضع عزة الإنسان والأنفة والعلو. لذلك حينما توعَّدَ الله أبا جهل بالذل، توعده به فى أنفه، فقال : ﴿ **سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ** ﴿١٦﴾ ﴾ [القلم: ١٦]، والله يريد أن يقول: من يهاجر فى سبيلى سييسر الله له الهجرة إلى مكان يأمن فيه، بحيث يأمن من مكان كان فيه مستضعفا بالأمس، ويستطيع اليوم أن يذل من كان يستضعفك إلى درجة أن تجعل أنفه فى التراب، وهذا تشجيع على الهجرة وسعة فى أنه ما دام المكان الذى هاجرت منه قد ضيق حركتك، فالمكان الذى هاجرت إليه سيوسع حركتك، ثم يقول الحق: ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء: ١٠٠] وقد نزلت الآية فى «ضمرة بن القيس» من أهل مكة وكان مريضًا، فلما سمع ما أنزل الله فى الهجرة قال لأولاده: احملونى، فإنى لست من المستضعفين وإنى لأهتدى الطريق، والله لا أبيت الليلة بمكة. فحملوه على سرير، ثم خرجوا به، فمات، فأنزل الله هذه الآية ليقول: يا من خرجت ناويًا الهجرة إلى دار أمن وهى سبب لأن تذل منها عدوك ثم مت

قبل أن تصل إلى السبب، فإنك بموتك قد ذهبت إلى رب السبب، وهذا أفضل لك وقد وقع أجرك على الله، تجده قد سقط لك عنده، فكأن الجزاء أحرص عليك منك عليه ﴿**وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾ لما قد تكونون قد توانيتم فيه إن قصرتم ثم تتداركون ما فاتكم.

* * *

obeikandl.com

معجـزات الهـجرة

* ما هى قصة التأريخ بالهجرة؟

الشائع عند الناس أنهم يحتفلون بالمحرم؛ لأن الهجرة ربما تكون وقعت فيه، ولكن الحقيقة أن الهجرة وقعت فى ليلة الثامن والعشرين من صفر، فقد خرج الرسول ﷺ مع صديقه أبى بكر إلى الغار يوم الجمعة ومكثا إلى يوم الاثنين، فظلا فى الغار ثلاثة أيام، ثم سارا حتى وصلا «قباء» فى يوم الاثنين الثامن من ربيع، وظلا فى قباء أربعة أيام، ثم ذهبا إلى المدينة، فوصلا يوم الجمعة. وبذلك استغرقت الهجرة أسبوعين تقريبًا.. هذا هو التاريخ الزمنى لحادث الهجرة.

ولقد وقعت فى غير أول الشهر، فليس من المعقول أن نلوى الناموس لنجعل الهلال يبدأ فى الثامن والعشرين من صفر حيث وقعت الهجرة، فجعلوا التأريخ بالهجرة لا يبدأ من شهر صفر حيث كانت الهجرة، وإنما جعلوا التأريخ يبدأ بالعام الذى فيه الهجرة، وظلت السنة عربية كما كانت.. بدايتها المحرم وآخرها ذو الحجة، ويسير التوقيت مع الهلال، ولذلك كان لابد أن نؤرخ

obeikandl.com

لا لحدث الهجرة فى ذاته وإنما العام الذى حدثت فيه، وهنالك قصة.. فقد عرض على عمر بن الخطاب كتاب ومحله فى التاريخ «شعبان» فقال عمر: أى شعبان هذا؟ أشعبان هذا أم شعبان العام الذى مضى؟ أم الذى يليه؟ ضعوا للناس أمرًا يعرفونه. فوقف للناس وقالوا: ماذا نصنع؟

فقال بعضهم: نؤرخ بالرومان، وقال آخرون: نؤرخ بالفرس.

وروى أن عليا ـ كرم الله وجهه ـ قال: نؤرخ بخروج محمد ﷺ من دار الشرك إلى دار الإيمان، فوافق عمر والصحابة على ذلك. وكان ذلك بعد سنتين ونصف من خلافة عمر. وانسحب هذا التاريخ على الماضى، فحسبوا المدد منذ السنة التى هاجر فيها الرسول ﷺ، وجعلوا يؤرخون لحدث فى السنة الأولى للهجرة، والآخر فى السنة الثانية.. وهكذا إلى ما نحن فيه الآن.

فإذا جئنا للحديث عن حدث الهجرة ذاته نجد أنه كان مقررًا منذ بعثة محمد ﷺ. فحين بعث وأرسل إليه كان تصديق بعثته مقرونًا بأنه سيهاجر، ولا أدل على ذلك من أن ورقة بن نوفل حين عُرض عليه أمر محمد وما يجىء له، قال: «إنك لنبى هذه الأمة، وإن الذى يأتيك لهو الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وعيسى، ولتكذبن، ولتعذبن، ولتخرجن، ولتقاتلن، ليتنى أكون

حيا إذ يخرجك قومك».

قال الرسول ﷺ: «أو مخرجى هم؟»

قال: «ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودى. وإن يدركنى يومك، أنصرك نصرًا يعلمه الله».

فاقتران البعثة بقوله «لتخرجن» وقول الرسول ﷺ «أو مخرجى هم؟» يدل على أن الهجرة حدث خطير، تتعرض له الدعوة، لتؤتى أكلها كل حين.

والهجرة كحدث تاريخى لا يمكن أن يكون منفصلاً عما سبقه من الأحداث، ولكنه كان نتيجة حتمية لما سبقه من الأحداث. وارتباط البعثة المحمدية بكل أحداثها يدل على وحدة البعثة فى كل ما يعن لها.

* ما هى معجزات الهجرة ودلالاتها؟

ـ إذا نظرنا إلى ما تخلل الهجرة من صعاب ومشقات ومن آيات ومعجزات، قد يقف العقل منها موقف التردد فى قبولها، فإنه يجب أن يعلم الناس أن ما تخلل الهجرة من معجزات وكرامات إنما كان من غير صنع البشر.

وإذا رفعنا الأحداث إلى مستوى صنع الله وقف العقل

صاغرًا، فمثلاً العنكبوت والحمامة والغصن وجدت من أجل محمد وصاحبه أبى بكر لتضليل الكفار عنهما فى الغار، مما يجعل أحدهم يقول بعدم إمكانية وجود محمد فى الغار وإلا لتقطع خيط العنكبوت وطارت الحمامة، وتكسر الغصن. ورغم أن أبا بكر كان قلقًا مما يدل عليه قوله: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فإن الرسول ﷺ كان يطمئنه؛ لأنه مطمئن إلى أنه رسول ﷺ ولن يخذله الله أبدًا، فقال لصاحبه: ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ فلا تحزن إن الله معنا.

ومعنى أن «الله معنا» أن الكفار ولو كانوا مبصرين سيعميهم الحق عن رؤية محمد وصحبه.

وإذا نظرنا مثلاً إلى «سراقة» الذى كلفه الكفار بمتابعة محمد للقبض عليه، فيشير الرسول ﷺ إلى أسفل، فتنغرس قدما فرس سراقة لأكثر من مرة؛ مما يجعله يوقن أن محمدًا بعيد عنه وإن كان قريبًا منه.

وانظر إلى يقين الرسول ﷺ فى هذه الظروف التى خرج فيها مضطرا، يطادره الكفار، وانظر إليه يعد سراقة بسوار كسرى عوضًا عن المكافأة التى وعده بها الكفار إذا أتى بمحمد ﷺ، فكيف يعد سراقة بسوار كسرى فى مثل هذه الظروف التى لا

يملك فيها من أمره شيئًا؟! وتتحقق نبوءة الرسول ﷺ فلا يموت سراقة حتى تفتح بلاد فارس، ويدق المسلمون عرش كسرى فى عهد عمر بن الخطاب، ويأخذ سراقة سوار كسرى كما وعده به الرسول ﷺ.

فأى يقين هذا الذى يجعل الرسول يعد بما لا يملك! إنه يقين النبوة، يقين أنه إذا قال أوفى بقدرة الحق الذى أرسله رسولاً. وانظر مثلاً إلى حكاية أم معبد التى استضافت الرسول ﷺ والشاة التى عندها عجفاء لا تنتج اللبن، فتناول الرسول ﷺ ضرعها، فتدر لبنًا يكفى أهل البيت جميعًا ويفيض.

وانظر أيضًا إلى دليل الرسول ﷺ وصاحبه فى رحلة الهجرة وهو «عبد الله ابن أريقط». لقد كان هذا الدليل كافرًا، وأن يكون دليل محمد فى رحلة الهجرة كافرًا أليس هذا تسخيرًا من الله لكافر ليخدم قافلة الإيمان؟!، أو ليس ذلك بمعجزة؟!

كل ذلك يكون أمرًا مسلمًا عند المؤمن برب محمد، وفى ذلك مصداق لقول تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فأى شىء من هذه الأشياء يدخل فى كلمة ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أى بمقاييسكم وبعقولكم وبماديتكم.

وإذا كانت مثل هذه المعجزات قد شهدها وعرفها من عاصروها، فإن المعجزة التى تتبع كل عصر شاهداً للرسول ﷺ على أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وهى القرآن الكريم؛ لأنه معجزة عقلية باقية.

وكل المعجزات الكونية تحدث مرة وتنتهى، أما معجزة محمد فنظراً لخلود رسالته، كانت معجزة عقلية، حيث يستطيع كل مؤمن به أن يمسك بالمصحف ويقول: هذه معجزة محمد ﷺ ومعجزة الإسلام من بعده، أما بقية المعجزات الكونية التى حدثت ورآها من رآها فإنه يصدق بها، ومن لم يرها فحسبه أن يصدق فى القرآن وحده معجزة له، وإن اتسع عقله لقدرة الله - الذى خلق محمداً - على خرق الناموس له، فلعل ذلك من تثبيت الله للمعاصرين للرسول وليس تثبيتًا لنا نحن، فلم يعد إلا خبراً يروى، اقتنع به إذا وثقت بمن رواه، ولكن لا تلغ عقلك؛ لأن عقلك مستعمل فى القضية الأولى، وهى الإيمان بوجود إله واحد، والإيمان بضرورة التبليغ من رسول صادق، صاحب معجزة تدخل العقل، فإذا ما انتهيت إلى هذا القدر يكفيك أن تعلم أنه قال كذا وكذا.

وإذا كانت قد حدثت معجزات كونية فى عهد الرسول ﷺ تثبيتًا للمؤمنين، وتدليلاً على نبوة محمد وأنه رسول لمن

عاصروه، فقد جاء القرآن معجزة للناس كافة إلى يوم القيامة؛ لأنه ليس من المعقول أن يأتى لكل المعاصرين فى كل عصر بآية كونية، فلا بد من آية باقية، وهى القرآن.

وكل مسلم فى كل عصر يستطيع أن يقول: محمد رسول الله ومعجزته القرآن معجزة للعرب الذين نزل بينهم وبلغتهم، ومعجزة للمسلمين من كل لغة وجنس ولون، ومعجزة لغير المسلمين فى كل وقت.

فترك الحق فى القرآن معجزات لا تنقضى إلى يوم القيامة؛ لأنها معجزات كونية يكتشفها العلم يوما بعد يوم.

ومن العظمة أن يكتشفها ويستنبطها غير المؤمنين بالقرآن.

فمثلاً قديمًا قالوا: إن مكان «الحس» فى المخ، وبعد ذلك قالوا «الحس» فى النخاع، حتى اكتشف الألمان أن الجلد هو مركز الإحساس بالألم عن طريق شعيرات تنبطح على الجلد، وإن الإنسان مثلا يتألم بالحقنة بمقدار ما تصل الحقنة إلى داخل الجلد.

هذه الحقيقة سبق بها القرآن حينما ذكر عن عذاب الكفار ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** ﴾ [النساء: ٥٦]، فكأن محل العذاب هو «الجلد» كما ذكر القرآن.

وعندما قال القرآن إن الله خلق الإنسان من طين، اكتشف العلماء بتحليل الطين أن به «١٦» عنصرًا، وأن جسم الإنسان أيضًا به «١٦» عنصرًا، هى نفس عناصر الطين.

ولما ذكر القرآن ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] واكتشفوا «الذرة» ولما فتتوها ووجدوا أن هناك أصغر منها «الإليكترونات والنيترونات»، قال السطحيون: القرآن ذكر أصغر شىء وهو «الذرة»، والعلم اكتشف أصغر منها، وهم لم يفطنوا إلى أن القرآن قال: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ [يونس: ٦١] فلا يمكن أن تتناقض حقيقة كونية مع حقيقة قرآنية؛ لأن خالق الكون هو نفسه الذى أنزل القرآن، ولا يمكن أن يتناقض الحق فيما خلق وأنزل إلا فى أذهان السطحيين وضيقى الأفق.

وتبقى الأحداث التى وقعت فى عصر الرسول ـ كحادث الهجرة ـ أحداثًا تاريخية لها أثرها فى تاريخ الدعوة الإسلامية وانتقالها من مرحلة إلى أخرى، بينما يظل القرآن معجزة مستمرة بآياته التى تثبتها حقائق الكون التى يكتشفها علماء من غير المسلمين.

وبذلك يثبت قول الحق ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي

أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ [فصلت: ٥٣].

* * *

obeikandl.com